الوثيقة

العدد الثالث - السنة الثانية - رمضان ١٤٠٣هـ - يوليو ١٩٨٣م

يصدرها
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين

فأخذتها الى هرموز وقدمتها الى أميرها وقالت له هل لك في بلد أرضها خصبة كالذهب وحملها لؤلؤ فهاجم أمير هرموز البحرين واحتلها من مقرن .

هذه القصة لعب فيها الخيال دورا كبيرا . اما فرير بن رحال فيتبين انه خان الامير مقرن فقتله والمصادر البرتغالية تحدثنا عن ابن الرحال في الحملة التى جردوها على البحرين مع أمير هرموز اما القصة فهى بالطبع من نسج الخيال .

وبناء على ذلك فان رواية الشيخ محمد بن احمد آل ثانى والخاصة بتأمير عبدالله المسلم عل قطر وفرير بن رحال على البحرين في وقت واحد تسندها هذه الروايات التى ذكرتها .

وقد احتفظ آل مسلم بامارتهم على قطر ومن الملاحظ ان الرحالة الالمانى نيبور عندما رسم خريطة الخليج (٦) والتى نشرها في كتابه كتب على ساحل قطر آل مسلم والخريطة تعود لسنة ١١٧٩ هجرية/ ١٧٦٥ م

اما حديث الشيخ محمد بن احمد آل ثانى عن آل مسلم فليس لدى تعليق عليه الا ما جاء في كلامه من ان السعوديين انتزعوا قطر من بنى خالد فهذا غير صحيح لان قطر عند ظهور السعوديين لأول مرة في الاحساء سنة ١٢٠٧ م كانت تسيطر عليها الزبارة التى كانت عاصمة لقطر والبحرين معا والمصادر التى تؤكد ذلك كثيرة منها ما تحكيه الآثار الدالة عليها ومنها المخطوطات والكتب التاريخية الاخرى .

وحول شخصية فرير بن رحال حدث جدل بين الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة وشاعر النبط الشهير حسين بن مشرف عندما قال في قصيدته التى مطلعها :

يا بن حمد ليلى على بعدكم طال
قلبي يباريكم وجسمى مقيمى
واربع على ديرة افرير بن رحال
ذي عادة لى من زمان جديمى

فرد عليه الشيخ محمد بقصيدة طويلة مطلعها :

يابو علي هيضت مكنون الامثال
يا فرع مجد من ذؤابة تميمى
اهلا عدد ما سال شعب وما طال
عشب وما غنى حمام الصريمى
تقول ذي ديرة افرير بن رحال
ذي دارنا دار الندى من جديمى
ديرة هل العليا مناعير وابطال
اللى سقوها من وريد الخصيمى

والذي أريد أن اسجله حول ذلك انه عندما أمر المغفور له الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة بتجديد جامع القلعة في الرفاع الشرقي كنت اشرف على هذا التجديد وعندما حفرت الأساسات ظهرت لنا أساسات بناء قديم لقلعة كانت في نفس مكان القلعة التى بناها الأجداد وكانت أساساتها تحت المسجد مما يدل على انه كانت هناك قلعة في أيام الجبور وهي التى يقال بأن فرير كان يسكنها .

وختاما أكرر شكرى للأخ سيف مرزوق الشملان وارجو ان يجد في ملاحظاتى بعض الفائدة .

---

(٦) : راجع الخريطة في باب خرائط قديمة

(قصيدة للشيخ محمد بن أحمد بن سلمان آل خليفة

نقل لنا هذه القصيدة الشاعر ابراهيم بن على بن دعلوج الكبيسى ساكن الخبر قال" انه عصر يوم الخميس ٢٧ من شهر صفر ١٣٥٧ هـ فى الرميثة أملى على صاحب السمو المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة هذه القصيدة"

القصـــيدة

سقى قصر صبحا من غوادى ربابها ... مـوطن اجـدودى كم شيـخ ربـابهـا
بنـا جـدنـا قصر الزبـاره وشيـده ... على الساحل البحرى الشمالى بنا بها
حماها بـأبراج من الخـوف والخطر ... وفرش أرض قصره بالكرم عن ترابها
وشق البحر للسفن توصل الى القصر ... بكـامـل حمـولتهـا تشـرع ببـابهـا
وسمـوها بـاسمين الزبـاره وصبحه ... الأجـداد سمـوهـا بـاسم زهـابهـا
الزباره اسم طعس عن القاع مرتفع ... وصبحـا اسم بنت جميـل شبـابهـا
ما هاب شاه الفرس ولا خاف باشته ... ولا سلطة الأتـراك حلف ما يهـابهـا
دع اللوم بـاللوام ما اسمـع عتابهـا ... لازم اجى البحـرين وأوطن عتـابهـا
أرسلنـا رمحين ولا صـابت الهـدف ... فى مدة شهرين مـا حسبنا حسـابها
والثـالثـة صـابت وطابت وانجبـت ... بنصر تحقق بـأمـر منشى سحـابهـا
عـزمنـا بعـون الله وقمنـا بقـدرتـه ... وحـانت الفرصـة واغتنمنا غيـابهـا
غـزينا عـلى البحرين فى آخـر الشهر ... آخـر صفـر الخـير فتحنـا أبـوابهـا
بألف رمية وسبعة وتسعين صـادفت ... بـدعـوة خليفـة والآله استجـابهـا
أخـذنـا أوال بقـوة السيف والعـزم ... وتـوفيق من ربى مسبب أسبـابهـا
أوال جـزيـرة دار مـادارهـا البحـر ... حمينـا سواحلهـا وذلت اصحـابهـا
وأرسلنا عائلة ناصر المذكور الى بوشهر ... مـعـززيـن مـكـرمـين جـنـابـهـا
يـا آل يعـرب هـذه شيمـة العـرب ... تحمى المحـارم ما تكشف حجـابهـا
حنـا بنى عتبـة ونتعب خصيـمنـا ... من آل وايـل معـربـين انسـابهـا
هـذا كـلام صـح من صـادق المثـل ... تـواريخ مجـد اجدودنـا ينحكى بها
والختم صـلى الله عـلى سيـد البشر ... أحمد شفيع الخلق سـاعة حسـابها

شاعرنا هو الشيخ محمد بن أحمد بن سلمان بن أحمد (الفاتح) آل خليفة الفارس والشاعر الملهم ولد فى البحرين فى الرفاع وتعلم على يد علمائها فى ذلك الوقت له القصائد العربية والنبطية وقصائده فى رثاء سيدنا الحسين بن على لا تزال معروفة وتقرأ وللأسف فقد الكثير من شعره كما حرف الرواة كثيرا من قصائده قتل فى احدى المعارك وهو فى ريعان الشباب سنة ١٢٥٨ هـ رحمه الله ودفن فى المكان الذى قتل فيه وقبره معروف فى وسط مدينة الرفاع الشرقى بقرب مسجد عيسى بن عيسى آل خليفة . (عبدالله بن خالد آل خليفة)

إمارة العصفوريّين ودورها السّياسي

العصفوريّون وقصة ١٥٠ عام

الظروف الطبيعية بالبحرين تخ

البيئة البحرية بجزأوال ولدت طبقة م

كاظمة
لأرشفة التراث الديني

ان مما يثير دهشة وحيرة المتتبع لتاريخ شبه الجزيرة العربية ذلك الغموض الذى يكتنف حقبة من تاريخ المنطقة الممتدة من كاظمة شمالا لتنتهى جنوبا بعمان الشمالى ويدخل ضمن ذلك سلسلة من الجزر الواطئة والواقعة فى الخليج العربى والمجاورة للساحل والمحاطة ببحر ضحل مملوء بالحواجز الرملية وقد استقرت فى قاعه اشهر مغاصات اللؤلؤ الطبيعى فى العالم من حيث الجودة والانتاج ، واكبرها حجما واوسعها شهرة جزيرة اوال (البحرين) .

اما النهايات الغربية لهذه الرقعة الجغرافية ، المعنية بالبحث فتتصل باليمامة . لقد تعارف البلدانيون العرب

ف تاريخ شرق الجزيرة العربيّة

امضه في تاريخ البحرين

ة مستقرة للقبائل الراحلة من البوادي

كان لها ثقلها في الحياة الإقتصاديّة

بقلم الدكتور : عبد اللطيف ناصر الحميدان

الاوائل على اطلاق اسم بلاد البحرين على هذه الرقعة ، وهى بهذا الاتساع والامتداد تشمل فى الوقت الحاضر دول شرق الجزيرة العربية كافة ، ابتداء بالكويت وانتهاء بعمان الشمالى . فتاريخ بلاد البحرين هو فى الواقع يشكل جزءا رئيسا وهاما من تاريخ دول شرق الجزيرة العربية كافة .

ان هذا الاتساع والامتداد لبلاد البحرين وعدم وجود موانع طبيعية تفصلها عما يحيط بها ويجاورها ويصعب اجتيازها ، قد ادى الى ارتباط تاريخها ارتباطا عضويا ووثيقا بتلك المناطق عبر العصور المختلفة . وهذه الحقيقة تستلزم من الباحث المدقق الذى يحاول التصدى لاماطة اللثام عن الغموض الذى يكتنف تاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصا وتاريخ الخليج العربى عموما بان لا يكتفى بمصادر واحداث المنطقة وحدها بل عليه ان يجول بناظريه نحو المناطق المجاورة ليستوعب احداثها وينقب فى مصادرها الخاصة والعامة .

والواقع فان منطقة الخليج العربى ليس اصطلاحا جغرافيا يدل على رقعة محدودة من سطح الأرض فحسب وانما يشير كذلك الى لون معين من الحياة ، فهى تغرى الباحث فى التاريخ الحضارى بدراستها كمنطقة متحدة داخليا ، اذ انه بالرغم من المؤثرات الخارجية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تعرضت لها عبر العصور فانها كانت بوتقة انصهرت فيها هذه المؤثرات المتنوعة وبقيت تمتلك وحدتها الداخلية فى البناء والتنظيم ، فموجات الهجرات البشرية المتبادلة بين سواحلها من جهة ، وكذلك فيما بينها وبين السواحل المحيطة بالبحار العربية والتى كانت تجرى تحت ضغط الظروف الطبيعية والحاجات البشرية المتبادلة هى من عوامل وحدتها وبالرغم من وجود المغريات لدراسة الخليج العربى كوحدة فان هنالك اعتبارات اجتماعية وتاريخية وسياسية تدعو الباحث لابراز خصوصيات الدور الذى لعبه كل جزء من اجزائها عبر مختلف العصور وبشكل متميز .

ان بحثنا هذا ما هو فى الواقع الا الحلقة الاولى من سلسلة دراسات تتناول تاريخ الخليج العربى فى العصر الوسيط والحديث ، وسوف يكرس لابراز الصورة المميزة لتاريخ بلاد البحرين للفترة الممتدة منذ مطلع القرن الحادى عشر حتى مطلع القرن السادس عشر ، وهى من اشد فترات المنطقة غموضا الامر الذى حمل الباحث النجدى سليمان الدخيل على القول بانه يشكل على المؤرخين الوقوف على حوادثها ووقائعها فى أوقاتها [1] . ومع بروز الاهمية الاقليمية والدولية لمنطقة الخليج العربى فى عصرنا الحاضر وظهور الكيانات السياسية المستقلة فيها ، ازداد الاهتمام بتاريخ المنطقة واخذت تظهر دراسات عديدة وبلغات مختلفة الا ان الباحثين قد احجموا حتى الآن عن ارتياد هذه الفترة او انهم مروا بها مرورا عابرا لسبب رئيسى هو قلة مصادرها ان لم تكن ندرتها ولادراكهم ايضا مدى الجهد المضنى الذى يحتاجونه لجمع شتات المادة المتناثرة هنا وهناك والتقاط الاشارات من المصادر النادرة وبلغات متعددة . ولقد عبر الاستاذ ابو حاكمه عن اسفه لعزوف الباحثين عن محاولة الكشف عن تاريخ الخليج العربى خلال العصور السابقة لعصرنا هذا ووصف دراساتهم التى ظهرت حتى الآن بانها دراسات عصرية لا تتجاوز « عصر النفط » الا قليلا [2] . ان هذه الفجوة فى معلوماتنا عن تاريخ الخليج العربى تشكل نقطة ضعف كثيرا ما استغلت للتشكيك بالهوية القومية والتاريخية للسواحل العربية ولترديد ادعاءات سياسية وقومية فيها ، كما رسمت صورة تاريخية للمنطقة بنيت اساسا على تجاهل دور العرب فى صنع احداثها لكى ينسجم ذلك ومثل هذه الادعاءات وعلى الرغم من ان مثل هذه الادعاءات قد خفت الى حد كبير فان اثارها الثقافية لا تزال باقية ، الامر الذى يستلزم التصدى بموضوعية لرسم صورة اقرب الى وقائع التاريخ لتتجاوز الصورة المنحازة التى رسمت لتاريخها [3] .

توطئة فى السمات العامة لبلاد البحرين

قبل التطرق لتاريخ بلاد البحرين خلال الفترة المنوه عنها سابقا ، يستحسن ان نشير ولو اشارة موجزة جدا الى المظاهر العامة لبيئتها الطبيعية والتى اثرت اعمق الاثر فى حياتها وطبعت تاريخها السياسى والاجتماعى والاقتصادى بطابعها ، واول هذه المظاهر سعة رقعتها الزراعية بالمقارنة مع كثير من مناطق جزيرة العرب ، حيث تتوفر فيها المياه الغزيرة والعيون التى تجرى مياهها على سطح الارض . اضافة الى قرب مياهها الباطنية من سطح الأرض ، وهذا العامل ساعد على امتداد الرقعة الزراعية فيها والتى كانت فى العصور الماضية أكثر اتساعا مما هى عليه اليوم . ويستدل على ذلك اولا من كثرة اسماء القرى والمستوطنات المأهولة بالسكان والتى اورد ذكرها البلدانيون العرب ، الا ان كثيرا منها قد اختفى من خارطة الاقليم فى الوقت الحاضر ، وثانيا ان الابحاث الحديثة قد ايدت ايضا اتساع الرقعة الزراعية فى الماضى [٤] .

لقد وفرت هذه الظروف الطبيعية المستلزمات الضرورية لقيام حياة مستقرة تعتمد على الفعاليات الزراعية وسد الطلب على المنتجات الزراعية لكل من سكان البوادى واسواق الخليج العربى ، بل وتصدير ما يفيض عن ذلك وخصوصا التمور الى السواحل المطلة على البحار العربية والمحيط الهندى .

ان هذه البيئة الزراعية قد فرضت وجود نشاط اقتصادى ذى اوجه متعددة وقيام علاقات انتاجية وتركيب اجتماعى فى المنطقة يختلف فى كثير من خصائصه عما حوله من بوادى . ففى مثل هذه البيئة يفترض سعى سكانها لاقامة سلطة تعمل على توفير الامن والنظام وحمايتهم من خطر سكان البوادى المتربصين دائما بالمنطقة ، وكذلك الاشراف على توزيع المياه وحماية مصادرها من الاندثار وتنظيم العلاقة بين المستثمرين والمنتجين واوجه النشاطات الاقتصادية الاخرى ، وكل ما ينشأ عنها من علاقات اجتماعية وقانونية ، الامر الذى يستلزم وجود اجهزة متخصصة وقوة رادعة . ان السلطة التى تقوم فى مناطق الاستقرار من بلاد البحرين سوف يكون من اهدافها الاستراتيجية الثابتة التطلع لتحقيق صلة وثيقة بالبيئتين المجاورتين ، وهما البيئة الصحراوية ، والبيئة البحرية ، وان تسعى لاقامة هذه الصلة اما بطريق الاخضاع المباشر او باقامة التحالفات القائمة على اساس المنافع المشتركة .

وكثيرا ما ينشأ عن ذلك حرب مع سكان هاتين البيئتين . ان نجاحها فى ذلك سوف يحقق ربط طرق التجارة البحرية بطرق التجارة البرية ، الأمر الذى ينتج عنه نفع اقتصادى كبير لمناطق الارياف ويحقق الاستقرار السياسى والاقتصادى فيها والنقطة الاخيرة والجديرة بالاشارة هنا هى ان سكان المناطق الزراعية نظرا لارتباطهم بالارض وبالملكيات الثابتة هم اطوع للحكام واسهل خضوعا للسلطة بل واستغلالا من قبلها ومن قبل طبقة الملاكين ، وهذا على عكس الحال فى البيئتين المجاورتين البحرية والصحراوية .

اما المظهر الثانى لبلاد البحرين فهو البيئة البحرية ، اذ ان طول سواحلها الممتدة على الخليج العربى وكثرة تعاريجها ادى لان يلعب سكانها دورا مؤثرا فى كافة اوجه النشاط التى تحدث فى المنطقة كما انها اصبحت من المناطق التى تستقبل التأثيرات من خارج حدودها عن طريق سواحلها وجزرها . ونظرا لكون المناخ والبيئة الصحراوية هى السائدة فى بلاد البحرين فان الامر قد ادى لأن تصبح بيئة طاردة لسكانها نحو البيئة البحرية المجاورة والتى هى اكثر غنى وضمانا فيما تغله من ثروة

سمكية فى مياهها ومن لؤلؤ فى اعماقها ومن فرص للربح فى النشاط التجارى مع الخارج ، ومما هو جدير بالذكر هنا ان النشاط الاقتصادى لسكان السواحل والجزر فى حرفتى صيد الاسماك واستخراج اللؤلؤ يتزامن مع النشاط الاقتصادى لسكان الارياف فى بلاد البحرين فى جنى محصول التمر . على ان هناك وجه شبه بين حياة سكان البيئة البحرية والبيئة الصحراوية فاذا كان البدو ينتقلون مع قطعانهم من مكان الى اخر طلبا للماء والكلأ فان عرب السواحل والجزر ينتقلون هم ايضا من مكان الى اخر عندما تضطرهم الظروف الى ذلك ووسيلتهم هى سفنهم التى يحملون فيها اهم ممتلكاتهم . فالسفينة لديهم كوسيلة للحياة فى عالم البحار تحتل نفس الاهمية التى تحتلها الابل لدى البدو . فاذا كانت الطبيعة قد سخت على عرب البادية بهذا الحيوان العجيب الذى اطلق عليه جوازا بسفينة الصحراء ، فان المعارف البحرية المتميزة لعرب السواحل قد هدتهم لصنع السفن الشراعية وتطويرها بما يتناسب وحاجاتهم فى النشاط البحرى فطبعوها بطابعهم وحققت لهم بذلك امتدادا جغرافيا وبشريا وحضاريا يفوق كثيرا رقعتهم الجغرافية . فكانت استجابتهم لتحدى الطبيعة البحرية استجابة مناسبة جدا ، تنم عن عبقرية فذة بالمقاييس الحضارية لعصرهم فاكسبتهم بذلك تفوقا متميزا فى النشاط البحرى ولقرون طويلة جدا [٥] .

ان البيئة البحرية لبلاد البحرين قد ولدت طبقة من السكان لها ثقلها فى الحياة الاقتصادية والسياسية ، لا يجوز للباحث فى تاريخ المنطقة اغفالها كما انها افرزت زعامات تعتمد فى مراكزها على قوتها الاقتصادية الناتجة عن سيطرتهم على قطاعات واسعة وهامة من النشاط الاقتصادى وهؤلاء هم تجار اللؤلؤ واصحاب السفن ويسندهم عدد كبير من الاتباع الذين يدينون لهم بالولاء نتيجة لتبعيتهم الاقتصادية لهذه الزعامات وهؤلاء صيادو الاسماك واللؤلؤ والعاملون فى السفن التجارية .

ان هذه القوة المنتجة اقتصاديا تشكل فى الواقع قوة عسكرية احتياطية كثيرا مازجها هؤلاء الزعماء فى صراعاتهم السياسية ، فكثير من الاحداث التاريخية التى مرت بها منطقة الخليج عبر عصورها المختلفة لا يمكن فهمها فهما سليما من دون الانتباه الى الدور الذى لعبته هذه القوى فى صنع الاحداث فى المنطقة .

اما المظهر الثالث والاخير للبيئة الطبيعية لبلاد البحرين والتى لها التأثير الاعمق فهى البيئة الصحراوية السائدة فى الاقليم والتى فرضت نمطا من الحياة الاجتماعية ، هى الحياة القبلية والتى طبعت التاريخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى للمنطقة بطابعها حتى العصر الحديث ، مما حدا بأحد المتخصصين بمنطقة الخليج العربى الى القول بان من الخطأ ان نعزو الخلافات حول الحدود فى شرق الجزيرة العربية الى سبب رئيسى هو اكتشاف النفط بل يجب الانتباه الى عامل اخر لا يقل عنه خطورة يسبق اكتشاف النفط الا وهو الطبيعة القبلية للمجتمع العربى فى المنطقة وما يتمسك به من مفاهيم حول حدود السيادة الاقليمية والمستمدة من تراثه القبلى [٦] .

ان الظاهرة الرئيسية للبيئة الصحراوية هى فقرها وعجزها عن سد احتياجات سكانها خصوصا عندما تتزايد اعدادهم ويحدق نقص خطير فى مراعى القبائل لذا فهى بيئة طاردة نحو المناطق الاكثر غنى من بلاد البحرين وهى البيئة البحرية والبيئة الزراعية الامر الذى يعرض هاتين المنطقتين دائما لضغط سكان البادية وتوغلهم فيها ويزداد توغلهم كلما احسوا بضعف السلطة السياسية فى هاتين المنطقتين . ويميل قسم منهم الى الاستقرار ولقد اوضحت دراسة بارث عن البداوة ان الذين يميلون الى الاستقرار من بين البدو هم الاكثر

غنى وكذلك الاكثر فقرا [٧] .

على ان الافراد الذين لهم ثقلهم بين القبائل - بالرغم من استقرارهم وامتلاكهم الاراضى - فانهم يبقون على صلة بقبيلتهم ويحافظون على نفوذهم فيها ، وهم بذلك يشكلون همزة وصل ما بين البدو والسكان المستقرين وما بين القبيلة ومناطق الاستقرار ، وربما يكون استقرار بعض زعماء القبائل بتشجيع من السلطة القائمة فى المدن . واستقرار هؤلاء هو فى الواقع اضعاف لهذه السلطة لانهم سوف يكونون جاهزين للعمل كوسطاء مع قبائلهم .

والنقطة الاخيرة التى يجب ذكرها هنا فى العلاقة ما بين سكان البادية والسكان المستقرين هو ان عرب البادية فى بلاد البحرين يسيطرون دائما على طرق القوافل التجارية البرية والتى تبدأ عادة او تنتهى بالموانىء الواقعة على ساحل الخليج العربى . لذا فهم كثيرا ما يحاولون السيطرة على هذه الموانىء التجارية ليمدوا منها سيطرتهم ايضا على الطرق البحرية فتقوم حالة من التعايش ما بين طرق القوافل البرية والطرق البحرية وما بين البدو الذين يسيطرون على الطرق البرية وسكان السواحل والجزر فى الخليج العربى الذين يديرون الطرق البحرية .

من هذا ندرك ان القوى القبلية كانت تلعب ادوارا خطيرة كلما سمحت لها الظروف العامة بذلك .

والواقع فان التفاعل ما بين البداوة والاستقرار وما بين القبيلة والدولة يمثل احد المظاهر الاساسية لتاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصا وتاريخ الوطن العربى عموما . ان هذه السمات البارزة للبيئة فى بلاد البحرين وما افرزته من نتائج قد اوردناها توطئة تساعدنا على تفهم اكثر الوقائع التى سوف نتعرض اليها فى الصفحات اللاحقة .

استقرار بنى عامر فى البحرين

يلاحظ الدارس لتاريخ الخلافة العباسية فى فترة ضعفها ان القوى القبلية قد اخذت تلعب ادوارا سياسية رئيسية ضمن مناطق مختلفة من العراق والجزيرتين العربية والفراتية بحيث لا يمكن للباحث تجاهلها .

وقد نجحت بعض هذه القوى القبلية فى تكوين كيانات سياسية خاصة بها كالحمدانيين وبنى عقيل وبنى اسد والمنتفق وخفاجة ، الا انه بظهور الوصاية السلجوقية على الخلافة العباسية اخذت هذه الكيانات تختفى من الخارطة السياسية الواحدة بعد الاخرى .

ومع نهاية القرن السادس للهجرة/الثانى عشر للميلاد ومطلع القرن السابع/الثالث عشر كانت خارطة القوى القبلية المؤثرة فى الحياة السياسية قد تغيرت عما كانت عليه فى السابق .

ويورد لنا القلقشندى (ت ١٤١٨/٨٢٨) خارطة للتوزيع القبلى فى حدود النصف الاول من القرن السابع الهجرى/الثالث عشر للميلاد معتمدا فيما يورده من معلومات عن هذه القبائل فى هذه الفترة وما بعدها على مؤلفين متأخرين لمعلوماتهم اهمية خاصة .

ومن ابرز هؤلاء ابن سعيد المغربى (ت ١٢٨٦/٦٨٥) والحمدانى المعروف بابن رماخ المتوفى فى مطلع ق ١٤/٨ ، وابن فضل الله العمرى (ت ١٣٤٨/٧٤٩) واخيرا ابن خلدون (ت ١٤٠٥/٨٠٨). والذى يهمنا من هذه المعلومات هو ما يتعلق منها ببلاد البحرين .

ان روايات هؤلاء جميعا تكاد ان تتفق تمام الاتفاق على ان القبيلة التى كانت تمتلك زمام السلطة السياسية خلال القرنين السابع والثامن/الثالث عشر والرابع عشر فى كل من البحرين واليمامة هى قبيلة بنى عامر بن عقيل .

فمن هم بنو عامر وما هو دورهم فى الاحداث

قبل هذا التاريخ وبعده ؟ للاجابة على هذا السؤال سوف نعود القهقرى بضعة قرون الى الوراء لنستعرض جوانب من تاريخ بلاد البحرين بما له من علاقة ببنى عامر .

تجمع المصادر على ان بنى عامر ينتسبون الى بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من العدنانيين ، وان بطون بنى عقيل المشهورة هم بنو عبادة وبنو المنتفق وبنو خفاجة وبنو عامر .

وكان العراق وبلاد البحرين احد المواطن الرئيسية التى استقرت بها هذه البطون ، بعد ان غادرت موطنها فى نجد ، وقد لعبت هذه البطون ادوارا مهمة فى هذين الاقليمين ، وكثيرا ما اطلق اسم بنى عقيل على بطن او اكثر من هذه البطون ، الامر الذى يثير بعض الاشكال للباحثين فى التمييز بين الفرع والاصل وهذا ما يحدث كثيرا عندما يشار لبنى عامر فى البحرين ببنى عقيل . ويبدو ان ذلك راجع الى تجاورها فى المسكن واختلاطها بعضها ببعض[٨] .

ان من الاجدى عند دراسة القبائل ان نميز ما بين الاتحادات القبلية وبين زعامة هذا الاتحاد اذ ان بعض العشائر والبطون والافخاذ كثيرا ما ترتبط بهذا الاتحاد او تنفصل عنه تحت ضغط الظروف السياسية والطبيعية والاجتماعية .

وفى الحقيقة فان اسم بطون بنى عقيل قد ارتبط ببلاد البحرين منذ ان انتقلوا اليها من مواطنهم فى اواخر القرن الثالث/التاسع على رأى رنز[٩]، حيث عاشوا جنبا الى جنب مع قبائل كثيرة مثل بكر بن وائل وتميم وعبدالقيس وبنى سليم ، وكان ابرز هذه القبائل القبيلتين الاخيرتين[١٠] .

ان ترتيب الاحداث يشير الى ان بطون بنى عقيل عندما غادرت مواطنها الاصلية فى نجد استقرت فى البحرين حيث كانت هذه البلاد تحكم من قبل القرامطة ، او انهم انتقلوا اليها مع ظهور حركة القرامطة بعد ان تحالفوا معهم . فابن الاثير يذكر فى حوادث سنة ٢٨٦/٨٩٩ ان ابا سعيد الجنابى مؤسس دولة قرامطة البحرين قد لقى مؤازرة وتأييد بعض القبائل ذكر منها عقيل عامر ، والى هذه المؤازرة يعود نجاحه . اما ابن خلدون فيروى انه عندما قامت فتنة القرامطة بالبحرين صار كل بنى سليم والكثير من بنى عقيل حلفاء وجنود لابى طاهر سليمان ابن ابى سعيد الجنابى الذى خلف اباه فى حكم قرامطة البحرين فى حدود عام ٣٠٣/٩١٥ . كما انه قال فى موضع اخر بأن القرامطة كانوا يستنجدون بعرب البحرين على اعدائهم ويستعينون بهم فى حروبهم[١١] .

والواقع ان هجمات قرامطة البحرين المتكررة على عمان وبلاد الشام وارياف العراق خلال القسم الاكبر من القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى[١٢]، يمكن اعتبارها من بعض الوجوه هجرات قبلية رافقها تسلل واستقرار بعض بطون بنى عقيل فى هذه المناطق .

فالروايات المتواترة تشير الى ظهور نشاط بنى عقيل فى حدود هذا التاريخ . فبنو خفاجة كانوا قد استقروا فى خلال هذا القرن على اطراف الفرات الاوسط حيث تصاعد نشاطهم الى درجة كبيرة فى القرون اللاحقة .[١٣] يضاف الى ذلك ظهور نشاط المنتفق بجوار البصرة بقيادة زعيمهم الاصفر[١٤]اعتبارا من عام ٣٧٨ ، اما بنو عبادة وبنو مالك من بطون عقيل ، فان ابن خلدون يعزو تكوين دولة بنى عقيل فى الموصل والجزيرة فى حدود عام ٣٨٠/٩٩٠ الى هذين الفرعين بعد ان استطاعوا انتزاع هذه المناطق من اسرة بنى حمدان من قبيلة بنى تغلب الا انه بعد القضاء على دولتهم فى الموصل عام ٤٨٩/١٠٩٦ عادت هذه البطون او على الاقل الغالبية العظمى منهم الى جنوب العراق حيث استقروا ما بين البصرة وواسط والكوفة ، فعاشت عبادة متجاورة فى المسكن مع بنى

المنتفق[١٥].

وبمتابعة النشاط القبلي الذى كان يرافق نشاط قرامطة البحرين نجد ان بنى هلال بن عامر بن صعصعة وبنى سليم قد استقر قسم منهما فى بلاد الشام ضمن دائرة النفوذ القرمطى هناك . الا انه بعد ان استطاع المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ ـ ٣٦٥/٩٥٣ ـ ٧٥) انتزاع بلاد الشام من القرامطة ، قام بنقل اتباعهم من بنى هلال وسليم وانزلهم ببلاد الصعيد[١٦].

اما مصير القسم الاكبر من بنى سليم فى بلاد البحرين ، فانه بعد ضعف قرامطة البحرين وارتخاء قبضتهم على البلاد خلال القرن الخامس/الحادى عشر ، اتحدت عبدالقيس مع بنى عامر احد بطون عقيل ضد بنى سليم واخرجوهم من البحرين ومعهم قسم من بنى المنتفق (الخلط) فغادروها الى افريقيا (تونس)[١٧].

ان ابن خلدون حينما يتابع نشاط بطون عقيل المختلفة ، يمتاز عن القلقشندى بدقة نسبية فى التمييز بين هذه البطون فهو يذكر انه بعد نزوح سليم والمنتفق (الخلط) الى افريقيا ، بقيت فى جهات بلاد البحرين سائر بنى عقيل ، الى ان استطاع احد بطونهم وهم بنو عامر اخوة المنتفق ان يتغلبوا على بنى ابى الحسين[١٨] (العيونيون) وينتزعوا الملك منهم فى بلاد البحرين وعمان .

بقى ان نضيف ملاحظة اخيرة الى ما ذكره ابن خلدون من ان بنى عامر يعيشون الى الجنوب من البصرة الى جوار اخوتهم المنتفق[١٩]، فانه قصد بذلك بأن مساكنهم تمتد من جنوب البصرة حتى البحرين ، وقد استندنا فى ذلك الى ما اورده سابقا من نصوص والى ما سوف نورده حول مواطن بنى عامر . كما انه من الممكن ان نشير ايضا الى عدم وجود تعارض بين ما ذكره ابن خلدون هنا من ان مواطن المنتفق فى البصرة هى الى جوار بنى عامر وبين ما ذكره فى موضع اخر من ان بنى المنتفق قد انتقلوا الى افريقيا (تونس) وعرفوا هناك بالخلط . اذ ان ابن خلدون قد قصد بذلك الى ان قسما من المنتفق قد انتقل الى افريقيا اما القسم الاكبر فقد استقر بجهات البصرة وقد بقوا فى هذه الاماكن دون تغيير كبير حتى العصور الحديثة .

والواقع ان بطون بنى عقيل وعلى وجه التخصيص المنتفق وعامر واللذان امتدت ديارهما من البصرة حتى اليمامة وعمان كانوا متداخلين فيما بينهم وكان طبيعيا ان تقوم بينهم صلات التعاون والتناحر على حد سواء .

ان هذا التقارب فى الاصل والموطن هو الذى حمل البعض على ان يطلق اسم احد البطون على الاخرى او ان يستعمل اسما جامعا لكافة هذه الفروع فى هذا الامتداد الجغرافى والقبلى المتصل وهذا ما عبر عنه ابن فضل الله العمرى فى القرن الثامن الرابع عشر حينما قال بأن عرب عقيل وبطونها من عامر والمنتفق وغيرهما يعبر عنهما بعرب البحرين[٢٠].

علاقة بنى عامر بقرامطة البحرين ونشاطهم فى هذه الفترة

« ان استعراضنا لنشاط بنى عامر فى هذه الفترة سوف يكون من اهدافه الاولى تأكيد وجود الصلة الوثيقة التى كانت تربطهم ببلاد البحرين ،ثم اضعاف ان لم يكن نفى الفكرة القائلة بأن ظهورهم فيها ونشاطهم كان مرتبطا اشد الارتباط بسقوط دولة بنى عقيل فى الموصل والجزيرة عام ٤٨٩/١٠٩٦ .[٢١] اذ ان الاحداث التى سوف نوردها ولعب فيها بنو عامر دورا رئيسيا قد وقعت قبل تاريخ سقوط دولة بنى عقيل . على اننا لا نستطيع ان نقطع بعدم وجود صلة بين تصاعد قوتهم وعودة بطون بنى عقيل من جهات الموصل الى جهات البصرة .